الحجاج في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي
المقام والمنطلقات، نماذج مختارة

الدكتورة مينة عبلة
باحثة في الآداب والفنون المتوسطية، جامعة محمد الخامس بالرباط
المغرب

تقديم:

يعد مفهوم الصداقة مفهوما متداولا بين الناس فهو موضوع ضارب في القدم، من خلاله تتوطد العلاقات وتتجاوب العواطف الإنسانية النبيلة، فهو مرتبط أساسا بالمشاعر الجميلة، والأحاسيس الفياضة، التي من شأنها أن تجمع بين البشر، تبعا لشخصياتهم ودوافعهم الذاتية والموضوعية، وانطلاقا من تجاربهم الحياتية الخاصة، من خلال البحث في الاهتمامات، والأذواق والقيم، بغية تحقيق الوئام والاهتمام والحب. فالصداقة قد تربط بين شخصين، كما قد تربط بين دائرة موسعة من الأشخاص، يكون بعضهم لبعض سندا وعزوة، وقوة لتخطي الأزمات، والظروف الصعبة، وهذا ما لا يستطيع الإنسان تحقيقه وحيدا.

إن الصداقة من الركائز الاجتماعية الأساسية، التي تحقق المتعة في الحياة، من خلال ربط علاقات إنسانية متميزة، تجعل الإنسان على بلورة شخصيته بالانفتاح على الآخرين، عبر الاهتمام والاحترام المتبادل، والمشاعر الصادقة، المتجلية في مشاركة الصديق لصديقه ما يهمه، ومساندته ومساعدته وتفهمه، مع الحرص أن تكون الحكمة، والحلم، والحب، أسسا لهذه العلاقة النبيلة، وهذا من شأنه تعزيز وتقوية العلاقة مع الأصدقاء، وقد جاء اختيار هذا الموضوع ومقاربته حجاجيا، من خلال كتاب "الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي" الذي ألفه انطلاقا مما عايشه في عصره، وما تعلمه في خبرته من الحياة، " إن التوحيدي الإنسان كان مدفوعا بمزاجه ونفسيته وظروف حياته، إلى التفتيش عن الصداقة، وإحلالها مكانا أوليا في علاقاته مع الناس" [1]، وهذا يدل على أن التوحيدي انطلق من نفسه ومحيطه وتجاربه، وقدم لنا هذا الكتاب الذي تطرق فيه إلى موضوع الصداقة، وجعلنا نحاول الاقتراب منه ومن مضامينه " فالتوحيدي كان همه الاتصال بالناس ومشاركتهم عاطفيا وفكريا، واجدا في عشرتهم سلوى وتعويضا عما لحقه من أخفاق في خياته."[2]، كما وصف الصداقة بأنها" شفاء للصدر، وتخفيفا من البرحاء، واطرادا للغيظ، وبردا للعليل، وتعليلا للنفس"[3]، وفي هذا نلمس حضورا للجانب الروحي في تمثل التوحيدي للصداقة، وهذا راجع إلى ميله إلى التصوف بوصفه نزعة روحية وجدانية أساسها روحي بالدرجة الأولى، يزكي النفس ويريح القلب والفؤاد.

إن الذي يلقي نظرة فاحصة على هذا الكتاب سيجده غنيا بذكر التيارات الفكرية التي عاصرها التوحيدي، هذا بالإضافة إلى المتعة القرائية والبلاغية، فهو كتاب فكر وعاطفة ووجدان، له علاقة بحياة صاحبه ومختلف تمفصلاتها، وبالأخص أنه كتاب ألفه التوحيدي سنوات طوال" وقد امتد تأليف الرسالة فترة طويلة من حياة التوحيدي، بدأها في سن الشباب وانتهى من تأليفها أواخر حياته"[4].

أولا–الصداقة في المرآة المعجمية لغة واصطلاحا:

جاء في لسان العرب لابن منظور" الصداقة والمصادقة: المخالة، وصدق النصيحة والإخاء: أمحضه له، وصادقته مصادقة وصداقا: خاللته، والاسم الصداقة. وتصادقا في الحديث وفي المودة والنصيحة، والصديق: المصادق لك، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء"[5]، وورد في المعجم الوسيط" صادقه مصادقة وصداقا: اتخذه صديق، وتصادقا، تصاحبا، وتوادا، والصداقة علاقة مودة ومحبة بين الأصدقاء"[6].

استنتاجا لما جاء في المعجم عن الصداقة، يتبين الاتفاق حول معناها، الذي يشمل ارتباط الأشخاص بعضهم ببعض، وحرصهم على الصدق في الفعل والقول من خلال علاقة المودة والصحبة والأخوة، وكلها مفاهيم إنسانية نبيلة.

وفي الاصطلاح: " الصداقة: علاقة عطف ومودة بين الأشخاص، تقوم على الاختيار والتفضيل، منشؤها التعاطف والمشاركة في وأساسها المساواة وتقومها الألفة والمخالطة"[7]، وفي موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية "الصداقة بمعنى المحبة الصادقة التي يهتم معها بجميع أسباب الصديق، وإيثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به"[8]، وهناك من ربط الصداقة بالفضيلة والمبائ السامية المثالية بالقول " الصداقة ضرب من الفضيلة"[9]، وهناك من يعتبرها " إحدى الحاجات الأشد ضرورة للحياة، لأنه لا يقبل أن يعيش بلا أصدقاء ولو كان له مع ذلك كل الخيرات، وكلما كان الإنسان أكثر غنى وعز سلطانه، وعظم جاهه، شعر على ما يظهر بالحاجة إلى أن يكون له أصدقاء"[10]، ذلك أنه لا يمكن الاستغناء عن الأصدقاء بوصفهم " هم الملاذ الوحيد الذي يمكننا الاعتصام به في البؤس والشدائد المختلفة الأنواع، فحينما نكون شبانا نطلب الصداقة أن تعصمنا من الزلات بنصائحها، وحينما نصير شيخا نطلب إليها ومساعدتها التي تقوم مقام نشاطنا"[11]. و" أنبل الأمور التي تساعد في الوصول إلى السعادة هي الصداقة"[12]، وربما هذا ما جعل التوحيدي" كثير اللهج في أحاديثه بموضوع الصداقة والصديق، كثير التحدث عنه، والإكثار من ذكره لعقوقه بنفسه وارتباطه بحياته الوجدانية"[13].

ثانيا – ترجمة موجزة لأبي حيان التوحيدي:

يقول ياقوت الحموي:

"هو علي بن العباس، أبوحيان التوحيدي، شيرازي الأصل، وقيل نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي، صوفي الصمت والهيئة، قدم بغداد فأقام بها مدة، ومضى إلى الري وصحب الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد، وقبله أبا الفضل ابن العميد، وعمل في مثالبهما كتابا، وكان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظيا، يسلك في تصانيفه مسلكه، ويشتهي أن ينتظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان" [14].

ثالثا– تصانيف التوحيدي:

" لأبي حيان تصانيف كثيرة منها: كتاب رسالة الصديق والصداقة، كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي، كتاب الإمتاع والمؤانسة، كتاب رياض العارفين، كتاب ذم الوزيرين، كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي، كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة، كتاب الرسالة البغدادية، كتاب الرسالة في أخبار الصوفية، كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان، كتاب المحاضرات والمناظرات" [15] .

رابعا– مناسبة الكتاب:

يقول الحموي " لم أر أحدا من أهل العلم ذكر التوحيدي في كتاب ولا دمجه في ضمن خطاب، وهذا من العجب العجاب، غير أن أبا حيان ذكر نفيه في كتاب الصديق والصداقة، وهو كتاب حسن نفيس بما قال فيه: كان سبب إنشاء هذا الكتاب رسالة في الصديق والصداقة، أني ذكرت منها شيءا لزيد بن رفاعة أبي الخير إلى ابن سعدان أبي عبد الله سنة 371هـ، قبل تحمله عبء الدولة وتدبيره أمر الوزارة، فقال لي ابن أبي سعدان قال لي عنك زيد كذا وكذا، قلت قد كان ذاك، فقال لي: دون هذا الكلام وصله بصلاته مما عندك لمن تقدم، فإن الصديق حلو ووصف الصاحب المساعد مطرب، فجمعت ما في هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها، وبطؤت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان"[16].

خامسا: ملامح الحجاج في كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي، المقامات والمنطلقات.

1-الحجاج لغة واصطلاحا

-الحجاج لغة:

حين نقارب مفهوم الحجاج لأول وهلة، يتضح أنه مفهوم عائم يصعب حصره وتحديده داخل عدد من الكتابات والمرجعيات النظرية، "إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية التقليدية، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والخطابية المعاصرة، ولا ينحصر المشكل في تشعب الخريطة وتنوعها فحسب، بل في تعدد الدلالات والاستعمالات التي تتباين تباين كل هذه الأطر النظرية والمجالات المعرفية[17]".

وتدور مادة "حَجَجَ" في معاجم اللغة على الخصام والاحتجاج، والجدال بمعنى "مقابلة الحجة بالحجة، ومنه المجادلة أي المناظرة والمخاصمة"[18] وإفحام الخصم وإثبات الرأي بالحجة والبرهان، ومعرفة الخطإ من الصواب، والخروج من الشك إلى اليقين، ففي لسان العرب يقال "احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب، وحاجَّ خصمه فحجَّه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجَّة وملاجَّة. ويقال أيضا حَجَجَ: الحجُّ: القصْدُ، حج إلينا فلان أي قدم"[19]، " والقصد يعني استقامة الطريق"([20])، فالحجاج مقرون بالجدل والخصام والقصد والدفاع عن وجهة النظر بالدليل والبينة.

"ومن أمثال العرب: لجَّ فحجَجُ، معناه لجَّ فغلب من لاجَّه بحجَجِه، يقال حاجْجتُه حِجاجاً ومحاجَّة حتى حجَجْتُه أي غلبْتُه بالحجج التي أدليت بها، والحجَّة: البرهان، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة[21]" والخُصومَة تعني الجَدل: "خاصمه خصاما ومخاصمة، فخصمه، يخصمه، خصما، غلبه بالحجة "[22]. "ويقال رجل مِحْجاجٌ أي جدِلٌ، والتحَاجُّ: التَّخَاصَم، وجمع الحجة: حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه محاجَّة وحِجَاجًا، أي نازعه بالحُجَّة"[23].

وفي موضع آخر يقال: احتج بالشيء أي اتخذه حجة، قال الأزهري: "إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد، لأن القصد لها وإليها"[24].

من خلال هذه النظرة المعجمية، نصل إلى أن الحجاج مرتبط بالخصام، وبالقدرة على إفحام الخصم، وإثبات الرأي، من خلال الحجة والبرهان، أي بالدليل القاطع لإثبات صحة الادعاء، ومعرفة الخطإ من الصواب، والحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخروج من الشك إلى اليقين.

2-الحجاج اصطلاحا:

ورد في كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، أن الحجاج مرادف للحجة الإلزامية هي "المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته"[25] إذن يظهر لنا أن الحجاج مرتبط بالجدال، والخصام واللجاج، وغايته إثبات الرأي بالدليل والحجة، والسعي إلى تحقيق نوع من الانتصار في النقاش، والمحاورة بين المتحاجين في القضايا التي تشغلهم.

ومن التعريفات الحديثة ما جاء به حمادي صمود بقوله: "إن كلمة الحجاج تدل على العملية القولية لا منتهاها، وهذا يشير إلى مقام أو منزلة هذه الكلمة فيه، فالحجاج يمثل بما فيه من قصدية وما يقتضيه من أبنية ومواضعات، وهو من جنس الأعمال بالقول التي تراد بها أن يكون الكون موافقا لها، وموضوعه هو درس تقنيات الخطاب، التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات،

أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"[26]، بمعنى أن الحجاج مرتبط بالمقام والمواضعات، غايته الإقناع اعتمادا على تقنيات معينة في الخطاب، تجعل المتلقي يسلم ويقتنع بما يوجه إليه من قول أو رأي.

"ولا يخفى أن النظر في الحجاج والبحث فيه وفي تقنياته لا يتسنى دون الإشارة إلى أراء سقراط وأفلاطون ومؤلفات أرسطو تحديدا"[27]، فالمنطلق في الدراسات الحجاجية هو الأرضية الفلسفية التي تقوم على المناظرة والخطابة حيث إن هذه الأخيرة عند أرسطو "صناعة مدارها إنتاج قول يبنى به الإقناع في مجال المحتمل، والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها التأثير في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله، أو يثبت به لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا"[28]، بمعنى أن الخطابة مرهونة بوجود أطراف تتبادل الحوار والنقاش فيما بينها، وطرح أفكار قابلة للنقد والتمحيص والأخذ والرد، من خلال أطروحة ونقيضها، وصولا إلى نتائج مقنعة يتوصل إليها أحد الطرفين أو هما معا من التأثير في بعضهما البعض، وبناء على هذا فإن"الحجاج يمثل مجالا من النشاط اللغوي الذي شد إليه الأنظار على مر الأيام منذ بلاغة القدامى جعلوا منه الأساس ذاته للعلاقات الاجتماعية (فن الإقناع)"[29]، "فالأمر يتعلق بتقديم أفكار أساسية موجهة إلى بيان كيفية عمل آلية الخطاب الحجاجي، أي لا يتعلق الأمر بنموذج نص بعينه ولكن بالمكونات والأساليب لانتظام قولي ذي شكل محدد[30]"، من هنا نتوصل إلى أن الحجاج يتوجه إلى ملكة البرهنة والبحث في التفكير والفهم، فالفاعل المحاجج يمر عبر التعبير عن قناعة أو أمر يستدعي التفسير من جانبه، إلى نقله إلى المحادث قصد إقناعه، ومن تم تغيير سلوكه، والوسائل التي تمكن من تحقيق الغرض وبلوغ هدف الإقناع عديدة، منها ما يأتي من حجة صورة المتكلم لدى السامع، فإذا كان المتكلم مشهورا بالأخلاق المحمودة وحبه للحق، وحرصه على العدل في الحكم، وتمكنه من القضايا التي يتحدث فيها، كان الوصول إلى الإقناع أسهل.

من خلال ما سبق نصل إلى أن الحجاج هو وسيلة تقديم الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز سلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال في شكل عمليات إقناعية عقلية تأثيرية، قائمة على الاستدلال في طابع تسلسلي، مؤسس على علاقات منطقية رابطة بين القضايا والافتراضات بواسطة بنى لغوية تفرض اشتغالها داخل الخطاب.

3-الحجاج في الصداقة والصديق من خلال رسالتين هما: " بين الصالحين والأشرار" و "عداوة"

نظرا لضخامة الكتاب وتعدد موضوعاته ولصعوبة تناوله في مقال واحد خصصت هذا الشق لرسالتين مهمتين تضمنتهما دفتا الكتاب: الرسالة الأولى " بين الصالحين والأشرار" وتتواجد في الصفحة 55 من الكتاب وفيها يقول أبو حيان التوحيدي:

"وفي كليلة ودمنة صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت علة النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا. وقال أيضا: المودة بين الصالحين بطيء انقطاعها، سريع اتصالها، كآنية الذهب، بطيئة الانكسار، هينة الإعادة، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها، بعيد اتصالها، كآنية الفخار التي يكسرها أدنى شيء ولا وصل له" [31].

تعد الحجج قوة في القول وسمة مميزة له فلا يمكن الحديث عن الحجاج في غياب الأدلة والحجج لأنها من العناصر الأساس التي يعتمد عليها من أجل تحقيق غاية الإقناع، والتأثير في الآخر وحمله على الاقتناع، بما يقدم له من أفكار.

إن المرجع الأول في الحجج وتصنيفاتها وتقسيماتها هو " أرسطو" فقد قسم إلى حجج جاهزة وحجج غير جاهزة وعرف الحجج الجاهزة بقوله" تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة كمثل الشهود والعذاب والكتب والصكاك وما أشبه ذلك"[32]، و في هذه الرسالة نجد هذا النوع من الحجج حاضرا، حيث استهلها التوحيدي بقوله" وفي كليلة ودمنة" وكما هو معروف هذا كتاب اشتهر به عبد الله بين المقفع، وقد ترجمه من لغته الأصلية إلى العربية، وهو كتاب ناطق بلسان الحيوان، تطرق إلى عدة مواضيع، اهتمت بأمور الحكم

والسياسة، وتضمن العديد من الحكم والمواعظ، وفي هذا المقام هو حجة جاهزة اعتمدها التوحيدي قصد بيان الفروق بين الصالح والشرير، وهو حجة لم يبتكرها المتحدث وإنما اعتمد عليها بغية تثمين قوله والدفاع عنه.

أما قوله:" صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا" فيتضمن التدليل بحجة شبه منطقية من خلال البرهنة بالمشابهة والاستدلال بواسطة التمثيل، من خلال تقريب صورة الريح في نقل الأشياء على طبائعها، دون زيادة ولا نقصان، فالتمثيل هنا أداة حجاجية مهمة في نقل المفهوم، وبيان صريح على أن الصحبة الصالحة مرادف للطيب ومرآة له، وأن صحبة الأشرار مرآة للنتن وصورة له.

ونفس الأمر نجده متجليا في قوله: "المودة بين الصالحين بطيء انقطاعها، سريع اتصالها كآنية الذهب، بطيئة الانكسار هينة الإعادة، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها، بعيد اتصالها، كآنية الفخار التي يكسرها أدنى شيء ولا وصل لها"، إن المقصود بآنية الذهب هو أن الذهب نفيس وله قدره بين المعادن، وكذلك هي صحبة الصالحين. أما آنية الفخار فهي تدل على هشاشة العلاقات بين الأشرار، وشدة هوانها عندهم، وفي كلتا الصورتين لابد من استدعاء الإيتوس والباتوس، الأول بوصفه متعلقا بشخص المتكلم ويهدف إلى تحقيق "أغراضه الإقناعية ويصل إلى مراميه الحجاجية وأن يكون هو نفسه موضع قبول عاطفي لدى المتلقي" [33]. والثاني لأنه المحرك الأول لعاطفة المتلقي، والعارف بما يثير أحاسيسه، فكل منهما يستند إلى العناصر التي تؤطر الكلام من انفعالات وأهواء تحرك العواطف الإنسانية.

-رسالة عداوة:

تتواجد هذا الرسالة في الصفحة، 60، 59، 61 من الكتاب ونظرا لطولها سنكتفي بإستخراج عناصر الحجاج فيها، وللراغب الاطلاع عليها العودة إلى الكتاب.

نص الرسالة:

"كان بين القاصي أبي حامد المرورذوي وابن نصرويه، العداوة الغاشية والشحناء الكان بين القاضي أبي حامد المروروذي وبين ابن نصرويه العداوة الفاشية، والشحناء الظاهرة، وكان يقول: "والله إني بباطنه في عداوته أوثق مني بظاهر صداقة غيره، وذاك لعقله الذي هو أقوى زاجر له عن مساءتي، إلا فيما يدخل في باب المنافسة، ولهذا استمر أمرنا أربعين سنة، من غير فحاشة ولا شناعة، ولقد دعيت إلى الصلح فأبيت فقلت: لا نحرك الساكن منا، فلقديم العداوة بالعقل، والحفاظ من الذمام والحرمة ما ليس لحديث الصداقة، التكلف والملق، ولقد وقفني مرة على ضربة تأتت له علي كان فيها البوار، كف عنها، وأخذ بالحسنى، فأريته أختها، وكانت خافية عنده، فقال: لولا علمي بأنك تسبق إلى مثل هذه ما قابلتك بتلك، فقلت: هو والله ذاك، ووالله لقد ضرني ناس كانوا ينتحلون مودتي، ويتبارون في صداقتي، لضعف نحائزهم، ولؤم غرائزهم، ولقد ثبت لي هو في عداوته على عقل وتذمم أفضيا بهما إلى سلامة الدين، والنفس، والحال. وورد معز الدولة هذا المصر، فسأله عني سراً، فأثنى خيراً وقال: ما قطن مصرنا غريب أعظم بركة منه، وإنه لجمالنا عند المباهاة، ومفزعنا عند الخلاف. ولقد سألني معز الدولة عنه سراً، فأثنيت خيراً وقلت: أيها الأمير! والله ما نشأت فتنة في هذا المصر وهو كان سبب زوالها، وإطفاء ثائرتها، وإعادة الحال إلى غضارتها ونضارتها. فقال معز الدولة لأبي مخلد سراً، كيف الحال بينهما، يعنينا، فقال: بينهما نبو لا ينادى وليده، وتعاد لا يلين أبداً شديده. فقال: لئن كان كما تقول فإنهما ركنا هذا البلد، وعدتا هذا السواد، اجعلهما عيني أبصر بهما أحوال الناس في هذا المكان، وأعول عليهما في ما يريان ويشيران، فخلا بي أبو مخلد وبصاحبي، وتقدم إلينا عن صاحبه بما زادنا بصيرة وتألفاً إلى هذه الغاية، ثم قال أبو حامد: والله إن عداوة العاقل لألذ وأحلى من صداقة الجاهل، لأن الصديق الجاهل يتحاماك بعداوته، ويهدي إليك فضل عقله، ورأيه، ومن فضل عداوة الجاهل أنك لا تستطيع مكاشفته حياء منه، وإيثاراً للإرعاء عليه، ومن فضل عداوة العاقل أنك تقدر على مغالبته بكل ما يكون منه إليك، ثم قال: وما أظن أنه كان فيما مضى إلى وقتنا هذا

متصادقان على العقل والدين مثل أبي بكر وعمر، ومن يتحرى أخبارهما، ويقفو آثارهما وقف على غور بعيد، هذا مع العنجهية المصحوبة أيام الجاهلية، والعجرفية المعتادة أوان الكفر، فلما أنار الله قلوبهما بالإيمان رجعا إلى عقل نصيح، ودين صحيح، وعرفان بالعرف والنكر، ونهوض بكل ثقل وخف، وإني لأرحم الطاعن فيهما، والنائل منهما "[34].

ذكر أبوحيان التوحيدي في هذه الرسالة الشحناء الظاهرة والعداوة الغاشية التي كانت بين شخصيتين بارزتين هما: القاضي أبي حامد المروروذي وابن نصوريه ويعتبران من أهم رجالات الدولة البويهية، ولا شك أن الغاية من هذه الرسالة بيان معايشة التوحيدي للحكم البويهي، بحيث إنه كان قريبا من مجالس الحكام والوزراء في ذلك الوقت.

لقد كان بين الرجلين عداوة كبيرة، ولكن المصالح كانت تقتضي الحكمة في أن يمدح كلاهما الآخر، لقد دام العداء بينها لمدة أربعين سنة، من غير شناعة ولا فحاشة، وكان الصلح بينهما مستحيلا لدرجة أن القاضي المروروذي كان قد دعي إلى الصلح فأبى واستغنى، لكن كان في عدوتهما حكمة ورجاحة عقل فلقد كان " معز الدولة البويهي" يسأل أحدهما عن الآخر فلا يسمع إلا خيرا والدليل على ذلك في الرسالة قول القاضي المروروذي" لقد سألني عنه معز الدولة سرا، فأثنيت خيرا، وقلت: والله ما نشأت فتنة في هذا المصر إلا وكان سببا في زوالها وإطفاء ثائرتها" ونفس الأمر حدث مع ابن نصرويه يقول القاضي المروروذي:" وورد ابن معز هذا المصر فسأله عني سرا، فأثنى خيرا وقال: ما قطن مصرنا غريبا أعظم بركة منه، وإنه لجمالنا عند المباهات، ومفزعنا عند الخلاف"[35].

في هذه الرسالة الحجة الحاضرة هي حجة الشخص، وهي وجه من أوجه الاتصال التواجدي، المتعلق بالشخص وصداه، وهذا ظهر من خلال ابن نصرويه والقاصي المروروذي، وإتقانهما فن إخفاء العداء مراعاة لوضعهما في الدولة وحفاظا على قامتهما، " ينطلق هذا النوع من الحجاج من مبدإ أن الأعمال تكشف جوهر الشخص، وبالمقابل، قد يكون الشخص وما نعرفه عنه يفسر لنا أعماله"[36]. وهي من الحجج المؤسسة على بنى الواقع، كما نجد أن التوحيدي قد اعتمد حجة السلطة " ويستمد هذا النوع من الحجج قوته الإقناعية من نفوذ المتكلم وسلطته وتتعدد مصادر وأشكال هذه السلطة فقد تكون دينية، أو سياسية أو علمية"[37]

الهوامش:

1الصداقة والصديق، رسالة لأبي حيان التوحيدي، 310-414 هـ، عني بتحقيقه والتعليق عليها الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، ص 13

2 نفسه ص 14

3 نفسه

4 نفسه ص 15

لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الين بن منظور، 711/630هـ، تنسيق علي بشري، دار إحياء التراث العربي، مادة "صدق" 5ط"1988، 1

6المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، الدولية، 2004، ص 511،

7المعجم الفلسفي جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ج1، ص 722

8موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر الغربي والإسلامي، الدكتور سميح دغيم، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 2000م، ص 338

9 علم الاخلاق إلى نيقوماخوس، أرسطو طاليس، ترجمة أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتاب المصرية، ج2 ص 219

10 علم الاخلاق إلى نيقوماخوس، ص 219

11نفسه ص 220

12قصة الفلسفة، تأليف ول ديورانت، ترجمة الدكتور فتح الله المشعش، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ص 89

13كتاب الصداقة والصديق ص 14

14 نسخة الكترونية، الرابط معجم البلدان، .NOOR-BOOK.COM- ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء 5، ص 1924

15نفسه ص 1925

16 **-نفسه ص 1925**

17 النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، 2005، ص 4.

18. لسان العرب، مادة "جدل".

19 لسان العرب، مادة "حَجَجَ".

20 لسان العرب، مادة " قَصَدَ".

21 لسان العرب، مادة "حَجَجَ".

22 لسان العرب، مادة "خَصَمَ".

23 نفسه.

24 نفسه.

25 موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، العلامة محمد علي التهانوي، تقديم الدكتور رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، الجزء الأول باب الحاء، مصطلح "الحجة". مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى 1996.

26 أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب بمنوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ص 299.

27 الحجاج بين النظرية والأسلوب، نحو المعنى والمبنى، باتريك شارود، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2009، ص 06.

28 الحجاج بين النظرية والأسلوب، نحو المعنى والمبنى، ص 12.

29 نفسه، ص 06.

30 نفسه، ص 10.

31 كتاب الصداقة والصديق ص 55

32 الخطابة: أرسطو، ترجمة عبد القادر قنيني، إيفريقا الشرق، 2008، ص 09.

33 الاستعارة في محطات، يونانية، عربية، غربية، محمد الولي، دار الأمان، 2005، ص 31.

34 الصداقة والصديق، ص 61

35 الصداقة والصديق، ص 61